بالقهر والتدبير وقيل معناه أأمنتم من على السماء كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها ومعناه أنه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق أي واليها وأميرها والأخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة إلى العلو لا يدفعها إلا ملحد أو جاهل أو معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة وإليها ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للصلاة ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان. قوله أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا. قال ابن عباس أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيه حجارة. قوله فستعلمون كيف نذير قيل النذير هاهنا المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول عطاء عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل إنه بمعنى الإنذار والمعنى فستعلمون عاقبة إنذاري إياكم بالكتاب والرسول وكيف في قوله كيف نذير ينبئ عما ذكرناه من صدق الرسول أو عقوبة الإنذار وقد تقدم أن نذير ونكير مصدران بمعنى الإنذار والإنكار وأثبت ورش يا نذيري ونكيري وقفا وحذفها وصلا وحذفها الباقون في الحالين. قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان نكير أي إنكاري وتغييري ما بهم أحدك. وقال أبو مسلم النكير عقاب المنكر ثم قال سقطت الياء من نذير ومن نكير حتى تشابه رؤوس الآي المتقدمة عليه والمتأخرة عنها. قوله تعالى أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته على إيصال جميع أنواع العذاب إليهم ومعناه كما ذلل الأرض للآدمي ذلل الهواء للطيور وصافات أي باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها. قال شهاب الدين صافات يجوز أن يكون حالا من الطير وأن يكون حالا من فوقهم إذا جعلناه حالا لأنه متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الأول وليروا. قوله ويقبضن عطف الفعل على الاسم لأنه معناه أي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا فإن الاسم هناك مؤول بالفعل وقد تقدم الاعتراض على ذلك. وقوله إلى أن عطف على اسم الفاعل حملا على المعنى يصففن ويقبضن أي صافات وقابضات لا حاجة إلى تقديره يصففن ويقبضن لأن الموضع للاسم فلا نؤوله بالفعل. وقال أبو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فأثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي أغرن فأثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه إلا عند السهيلي فإنه قبيح. قوله:

بات يغشيها بعضب باتر ... يقصد في أسوقها وجائر

أي قاصد في أسوقها وجائر وكذا قال القرطبي هو معطوف على صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر بات يعشيها الكميت. قال شهاب الدين هو عكس في عطف على اسم الفاعل لأن الاسم فيه مؤول بالفعل عكس هذه الآية ومعنى

يقبضن

يقبضن محذوف أي ويقبضن أجنحتهن قاله أبو البقاء ولم يبعد أصلا مفعولا كأنه زعم أنه الاصطفاف في أنفسها أي مصطفة والظاهر أن المعنى صافات أجنحتها وقابضات فالصف والقبض منها الأجنحة ولذلك قال الزمخشري صافات باسطات أجنحتهن ثم قال فإن قلت لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لأن الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح. قوله ما يمسكهن يجوز أن تكون الجملة مستأنفة وأن تكون حالا من الضمير في يقبضن قاله أبو البقاء والأول أظهر. وقرأ الزهري بتشديد السين

فصل

ويقبضن أي يضربن بها جنوبهن. قال أبو جعفر النحاس يقال للطائر إذا بسط جناحيه صاف وإذا ضمها فاصا بجناحيه قابض لأنه يقبضهما قال أبو خراش:

يبادر جنح الليل فهو مواثل ... يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقيل ويقبضن أجنحتهن بعد بسطها إذا وقفن من الطيران وقوله ما يمسكهن أي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير إلا الله عز وجل إنه بكل شيء بصير. قال ابن الخطيب وفيه وجهان الأول المراد من البصير كونه عالما بالأشياء الدقيقة كما يقال فلان له بصر في هذا الأمر أي حذق والثاني أن يحمل اللفظ على ظاهره فنقول قوله إنه بكل شيء بصير يقتضي كونه رائيا لنفسه ولجميع الموجودات وهذا الذي يقوله أصحابنا إنه تعالى شيء يصح أن يكون مرئيا وأن كل الموجودات كذلك فإن قيل البصير إذا عدي بالباء يكون بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا إذا كان عالما قلنا لا نسلم فإنه تعالى إن الله سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات.

فصل

قوله تعالى ما يمسكهن إلا الرحمن دليل على أن الأفعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى لأن استمساك الطير في الهواء فعل اختياري له وقد نسبه للرحمن. قوله أمن هذا الذي قرأ العامة بتشديد الميم على إدغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى بل لأن بعدها اسم استفهام وهو من مبتدأ وخبره اسم الإشارة وقرأ طلحة بتخفيف الأول وتثقيل الثاني قال أبو الفضل معناه أهذا الذي هو جند لكم أم الذي يرزقكم وينصركم صفة لجند.

فصل

قال ابن عباس جند لكم أي حزب ومنعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما أراد بكم إن عصيتموه ولفظ الجند موحد ولهذا قال هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام إنكار أي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن أي من سوى الرحمن إن الكافرون إلا في غرور من الشيطان يغرهم بأن لا عذاب ولا حساب. قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الإيمان ويعاندون الرسول عليه الصلاة والسلام معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بما لهم وعددهم والثاني اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فأبطل الله عليهم الأول بقوله أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن الآية ورد عليهم الثاني بقوله أمن هذا الذي يرزقكم الآية. قوله إن أمسك رزقه شرط جوابه محذوف للدلالة عليه أي فمن يرزقكم غيره وقدر الزمخشري شرطا بعد قوله أمن هذا الذي هو جندكم تقديره إن أرسل عليكم عذابه ولا حاجة له إضاعة

فصل

King Saud University
Copyright King Saud University